أنا لست بأميرة صغيرة

• معن محمد حمزة*

«إلى أين يرحل؟»

«إلى المكان الذي أتى منه؟ ربما، لست أدري!» يتوقّف، ثم يتابع: «ألم تقرإي هذا الكتاب من قبل؟»

«لا! سمعتُ به لكنّني لم أقرأه» تجاوبه. وتتابع: «لماذا أتى هنا؟»

«كان يفتّش عن أشياء!»

«هل وجدها؟»

«أعتقد.»

«سأقرأه فيما بعد. لا أعرف متى ولكنّني سأفعل. وعندها سأقول لكَ لماذا أتى هنا!» تقول ذلك، وتعلو وجهَها إشراقةٌ ضاحكة.

«ليس عليكِ أن تقولي شيئًا!» يجيبها بخفوت. ثم يضع يده في جيبة جاكيتته الداخليّة متحسِّسًا البطاقة الملساء. ينظر إليها. وهي تنظر إلى الطاولة. يقول اسمها.

«نعم!» تنظر إليه باسمةً.

«لا شيء. أردتُ أن أقول اسمكِ!»

تنظر إلى الكتاب أمامها، وتطوي ورقة الهدايا الملوّنة التي كانت تغلّف الكتاب. وتضعها داخله.

«ستحتفظين بها؟»

«نعم!» تجاوبه مبتسمةً. «هي جزء من الهدية. أليس كذلك؟» وتنظر إلى ساعتها.

«ماذا ستفعلين الليلة؟»

هو يعرف ماذا ستفعل الليلة. ستذهب إلى منزلها. لا تريد أن تتأخّر فتُقْلِقَ بالَ أمها وأختها.

«لا شيء. سأذهب إلى المنزل! وأنتَ؟»

«سأكون كالعادة في بيروت،» يجيبها وينظر إلى الخارج.

«إذن نلتقي هنا مساء الغد!»

لا يردّ. يهزّ برأسه كأنّه يوافقها.

«سأراكَ صباحَ الغد في المبنى الجامعيّ على كلّ حال.» تقول له وتنظر إلى الكتاب. تحمل الكتاب. تنظر إلى الصورة الملوّنة على الغلاف لولد صغير يقف أمام شجرةٍ وفوقه نجمٌ أزرق صغير. ترشف المزيد من القهوة، وتنظر إليه. تضع الفنجانَ على الطاولة. ترفع يدَها وتُرجع خصلات شعرها المتدلّية فوق جبينها إلى الوراء. تتحسّس شعرها الذي يتدلّى إلى رقبتها.

عندما رآها البارحة ظهرًا فوجئ بشعرها الكستنائيّ القصير. كأنّه يراها للمرة الأولى.

تقول له إنّ شعرها الأملس الذي تدلّى إلى منتصف ظهرها بدأ يزعجها، فقصصْتُه.

ويقول لها حينئذ مداعبًا: «تبدين وكأنّما كبرتِ.»

تنظر إليه وقد بدت معالمُ الكآبة على وجهها: «أنا لم أكبر.»

---

* ـ كاتب من لبنان، يعيش في الولايات المتحدة. وهذه أول قصةٍ له باللُّغة العربيّة.

«كأنّي أراكِ للمرة الأولى،» يقول لها وينظر إلى عينيها.

«وماذا ترى الآن؟»

يتطلّع حوله، وهما يتمشيان في الشارع، إلى السيارات والأبنية والمارة، ويبطئ من مشيه. تتوقّف أمام واجهة محلٍّ للثياب.

«أراكِ الآن تنظرين إلى الثياب،» يقول لها ويبتسم.

«هذا القميص يعجبني. أحبُّه جدًا.» تشير إلى قميص أبيض عليه تطريز دقيق لزهور صغيرة بألوان ربيعيّة خفيفة.

«نشتريه إذن!»

«لا، ليس الآن. عندما تراني غدًا مساءً في مكاننا المعهود ستراني مرتديةً هذا القميص مع تنورتي المفضّلة التي تعجبك كثيراً.»

«قميص جميل.» ينظر بتمعُّن إلى انعكاسها في الزجاج. يتابع: «تبدين أميرة صغيرة.»

يبدو عليها السرور. تتقدَّم من اللّوح الزجاجيّ. تنظر إلى انعكاسه. تنظر إلى القميص الملوّن: «أنا أميرة صغيرة. رائع. سأملك الكثير من الزهور الملوّنة.».

«نعم! زهور ملوّنة تنمو على نجوم بعيدة. تملكها أميرة صغيرة تقف أمامي الآن،» يقول لها.

ترفع رأسها وتنظر إلى سماء قاتمة لا أثر للنجوم عليها. يغطيها ضجيج من أضواء تخفت وتقوى.

«لِمَ لا؟ قد تراني عندها وكأنّك تراني أيضًا للمرة الأولى. ولكنّني لن أبدو أكبر من سني. أسمعت؟» تقول له وتداعب قدمه بطرف حذائها.

«حسنًا. سأهديكِ هديةً أيضًا عندما أراك غدًا مساءً!»

«حقًّا؟ ما هي؟» يبدو عليها الفرح.

«لن أقول لك،» يجيبها مداعبًا. «سترين.»

يتطلّع إليها عبر الطاولة ويُنزل عينيه إلى الكتاب ويقرأ العنوان مرارًا.

«بماذا تفكّر؟» تقول له.

«أفكّر بكِ!» ويبتسم.

يتحسّس البطاقة ثانيةً في جيبة جاكيتته الداخليّة. بطاقة ملوّنة بألوان ربيعيّة حمراء وزرقاء، ألوان خفيفة مع رسم لطائرة صغيرة خضراء يمتدّ وراءها خط أبيض مستقيم.

«هل أعجبكَ القميص؟»

«نعم، جدًا! جميلةٌ الزهورُ عليه.»

تنظر إلى ساعتها ثانيةً.

ينظر إلى قميصها. يلاحظ تقاطيعَ جسدها. تنظر إليه، وتُغمض عينيْها، وتحني رأسَها قليلاً إلى الأمام. تجلس على الكرسيّ مكتّفةً يديها. ثم تضعهما على الطاولة. يشعر بحرارة جسدها. تفتح عينيها ثانيةً.

«عليَّ أن أذهب الآن.» تقول بهدوء.

تقف حاملةً الكتابَ معها. يبقى جالسًا ينظر إلى وجهها.

«ألن تمشي معي؟» تسأله.

• معن محمد حمزة

«بلى، سأمشي معك» يقول بصوت خافت وينظر إلى الطاولة.

يخرجان إلى الشارع ويتمشيان. تلامس يدها يده. تتوقّف وتقول: «نفترق هنا.» يمسك يدها الثانية بيده. تصمت لثوانٍ وتتابع: «أراكَ غدًا صباحًا في الصف وبعدها نلتقي هنا ثانيةً في المساء.» تبتسم. تقول: «لا تنسَ. هذا من الأشياء المهمّة!»

تسحب يدها من يده ببطء. تبدأ برفع يدها. ثم تنزلها.

«عندما تراني تقدَّمْ نحوي على مهل. أَعْطِني المجالَ كي أراكَ. عندها أَرفع يدي ملوِّحةً لكَ.» قالت له منذ أشهر عدّة.

«وإنْ لم تريني؟»

«لا تقلقْ. سأراكَ. هذا من الأشياء المهمّة.» تتوقّف وتتابع مبتسمةً له: «أليس كذلك؟»

«ما هو الشيء المهمّ؟ أن تبحثي عني أو أن تريني؟» يسألها.

«الشيء المهمّ هو أنّني عندما أبحث عنكَ فسوف أراكَ لأنّك ستكون قريبًا مني.»

عندما بحث عنها رآها. يفكّر أنّ ذلك من الأشياء المهمّة، إذن! أن يكون قريبًا منها.

لكنّه اليوم عندما ينظر إلى السماء لا يرى إلاّ ضجيجًا من أضواء باهرة.

ينظر إليها ويقول: «افترضي أنّني على نجم آخر بعيد!»

«عندها قد أبحث عنكَ، وقد تكون قريبًا منّي. لكنّني لن أراكَ. وهذا ليس من الأشياء المهمّة. أنتَ لن تفعل ذلك. قل لي إنّك لن تفعل!»

«أن أذهب إلى نجم آخر؟ طبعًا لا!»

هذا ليس من الأشياء المهمّة. فكّر بصمت.

أن تبحث عنه. أن لا تراه. أن لا يكون قريبًا منها. أن لا يشعرا بحرارة جسديْهما قريبَيْن واحدهما من الآخر. هذا ليس من الأشياء المهمّة.

يخطو إلى الوراء ويُسْند ظهرَه إلى الحائط.

تتقدَّم نحوه وتقف إلى جانبه. تنظر إلى مبنى على الجانب الآخر من الطريق. تتتبَّع الأضواء التي تتسلَّل من نوافذ المبنى المعتّم. تنظر إليه وينظر إليها. تحني رأسها وتنظر إلى ساعتها. نسمات هوائيّة خفيفة تحرّك خصلات شعرها القصير. ترفع رأسها وتنظر إليه.

«كم الوقت الآن؟» سألته.

لاحَظَ أنّها ترتدي ساعةً حول معصمها الأيمن. شعر بالارتباك ولم يجب. كأنّما سألتْ شخصًا آخر.

كان ذلك منذ عام.

يراها تنظر إليه بطرف عَيْنها في قاعة الصفّ. هو لا يعرف إنْ كانت تختلس النظرات إليه قبل ذلك اليوم. يرى جسد فتاة مرتبكة كمن وقع في فخٍّ من الضجيج والأعين والأصوات والأبنية المدمَّرة والوحول والسيارات والشوارع الضيّقة. تجلس على الكرسيّ المحاذي له. تضع كتبها الجامعيّة أمامها. تَشْبك أصابع يديها بجانب كتبها.

تلتفت إليه متجنبةً النظر إلى وجهه.

«كم الوقت الآن؟» تسأله.

يلاحظ أنَّها ترتدي ساعةً حول معصمها الأيمن. يشعر بالارتباك. لا يجيب. كأنَّها تسأل شخصًا آخر. تحمل قلمًا وتحرِّكه بعصبيَّة.

يختلس نظرةً سريعة إليها. تحني رأسها وتنظر إلى أصابعها. ينظر حوله متجنِّبًا النظر إليها.

وجوه الطلبة. المحاضر. شفاه تتحرَّك. أصوات لا يفهمها. عن الوقت. عن الزمان والمكان.

يشعر بها تختلس النظرات إليه. يُغمض عينيه. يفتحهما. ينظر إليها بطرف عينه. يراها تنظر إليه بطرف عينها. يحرِّك عينيه وينظر حوله. المدينة. المبنى. القاعة. هو لا يبالي.

ساعة تمضي. تقف. تحمل كتبها وتسير.

تمشي إلى الأمام. تلتفت إليه وتبتسم.

«أراكَ غدًا!» تقول له. تمشي ببطء حاملةً الكتابَ معها. يلوِّح لها بيده. ترفع يدها ملوِّحة له. تدير رأسها وتسير. ينظر إليها وهي تبتعد عنه. تغيب عن ناظريْه عندما تمشي في بقعة مظلمة على الرصيف، ويراها عندما تسير في بقعة مضاءة. تستدير عند مفترق طريق وتختفي.

يضع يده في جيبة جاكيتته الداخليَّة ويُخْرج البطاقة الملوَّنة. يتفحَّص البطاقة ويتأمَّل ألوانها. يفتحها مقلِّبًا الأوراق. يتوقَّف عند ورقة واحدة.

الثامنة صباحَ الغد تُقْلع الطائرة. يعيد البطاقة إلى جيبة الجاكيتة الداخليَّة. يتقدَّم ويسير على الرصيف.

ماذا لو يقول لها إنَّه يريد أن ينسى حبَّه لها؟ عندها لن يحتمل أن يراها حزينة وكئيبة كما كانت عندما التقى بها.

يتمتم بصوتٍ يكاد لا يسمعه: «ماذا عن النسيان! أهذا من الأشياء المهمّة؟» ماذا لو يسألها؟ سوف تقول: «لا، النسيان ليس من الأشياء المهمّة.»

نظر إليها وقال بعفوية: «أريد أن أنسى حبي لك!»

أرجعتْ وجهها قليلاً إلى الوراء ونظرتْ إليه بغرابة.

يختبئان بين الأشجار وراء المبنى الجامعيّ. يرى معالمَ الرمال الصفراء التي تبتدئ بعد الشجرة الأخيرة؛ الاصفرارَ الذي تُقاطعه منازلُ كثيرة تنتهي بطريق ومن ثم منازل كثيرة، وبعدها المطار الذي ينتهي إلى البحر.

ينظر إليها ويقترب منها. تُلقي بكتبها على التراب وتضمه إليها بقوّة. يضمّها إليه ووجهُه يلامس وجهها. يشعر بتنفُّسها الحارّ على خدِّه، وبصدرها يتحرَّك بسرعة. ينظر إليها ويقول بعفويّة: «أريد أن أنسى حبي لك!»

تُرجع وجهها قليلاً إلى الوراء وتنظر إليه بغرابة. وهو يتابع: «أودّ أن أتحوَّل إلى نقطة من الدماء في عروقك. عندها لن أكون!»

وتنظر إليه ضاحكةً: «ومَنْ أضمُّ إليّ عندها؟!» يفاجئه جوابُها وتبدو الدهشةُ على وجهه.

«أن أضمَّكَ إليَّ بشدّة. هذا من الأشياء المهمّة.» وتبتسم.

يُغمض عينيه كأنَّه يحاول أن يتذكَّر شيئًا ما. «كأنَّني قرأتُ هذه الكلمات من قبل. أشياء مهمّة!» يقول وينظر إلى عينيها.

«ربما.» تقول له وتُغمض عينيها وتتابع: «عندما أُغمض عينيَّ أراني أضمُّك إليَّ. أشعر بجسدك تشدّه إلى جسدي.»

يقفان معًا في عناق طويل. وهو يكفيه أن يَشْعر بأنفاسها الحارّة على وجهه، وبصدرها يتقدّم مبطئًا ويتأخّر في حركة رتيبة. يضع أذنه على صدرها مستمعًا إلى دقات قلبها، وهي تداعب شعره بأناملها. يأخذ يدها ويرفعها قريبًا من وجهه. يحدِّق إلى معصمها. إلى العروق الدقيقة. يتتبعها عبر ساعدها. ينظر إلى عينيها. يضمّها إليه ثانيةً ويداعب شعرها الكستنائيّ المالس الطويل المتدلّي إلى منتصف ظهرها. تُلقي برأسها إلى كتفه وتقول: «سأقصه قصيرًا إلى الرقبة. بدأ يزعجني.»

يتابع سيره إلى موقف التاكسي. سيذهب الليلة إلى صيدا. سيوضّب أغراضه وينام. وغدًا صباحًا سيذهب إلى المطار.

يجلس بجانب الشبّاك على المقعد الخلفيّ من سيارة التاكسي. يُغمض عينيه. هو لا يسمع كلام السائق والأشخاص الذين يجلسون إلى جانبه على المقعد الخلفيّ. يفتح عينيه وينظر إلى الخارج. أضواء من بيوت وسيارات. على الطريق الساحليّة تتحرّك أمامه المنازلُ والأشجارُ مسرعةً في الاتّجاه المعاكس. يُغمض عينيه ثانيةً. يشعر بالهواء حارًا. يشقّ شُبّاكه، ويشعر بهواء بارد يلامس وجهه. يفكّر أنّ الشتاء قريب.

الخريف يَرْحل مخلّفًا وراءه زهورًا ذابلة ربما كانت لها من قبلُ ألوانٌ منعشة خفيفة كالزهور الصغيرة على قميصها الجديد. ويفكّر في أنّ هذا كان من الأشياء المهمّة أيضًا. الألوان الخفيفة وصوتُ تنفُّسها وحركةُ صدرها الرتيبة التي تحرّك القميص.

يفكّر أيضًا أنّها وصلتْ إلى منزلها الآن. تتسلّق الأدراجَ إلى الطابق الرابع وتفتح الباب. تتكلّم مع أختها وأمّها. تدخل إلى غرفتها. لن تقرأ الكتاب حالاً. بل ستفتح خزانتها وستضع الكتاب تحت كومة موضّبة من الثياب. ستنظر إلى الرفّ الآخر. قمصان جميلة ملوّنة.

هو لم ير غرفتها من قبل.

تخلع حذاءها. تجلس على السرير. ترفع تنورتها السوداء وتخلع جوارب النايلون بتأنٍّ. تخلع تنورتها وقميصها بعد أن تفكّ أزراره. تعلّقهما بعناية على تعليقة الثياب بالزاوية قرب طاولتها. تدخل إلى الحمّام حاملةً معها منشفةً كبيرة. تقف تحت المياه الساخنة التي تنزلق على وجهها. جسدها. تتكئ على حائط البورسلين. تنظر أمامها. تغمض عينيها.

فتحتْ عَيْنَيْها ثانيةً وقالت له: «ليس الآن، ليس الآن. في مكان آخر.»

جسدها يرتجف عندما تلامس شفتُها وجهَه وتشْعر بشفاهه على طرف فمها. تُغمض عينيها. يضمها إليه وتشعر بدقّات قلبها تعلو، وبالدماء تتدفّق في جسدها. في عروق صدرها. تشعر بتنفُّسها حارًا وثقيلاً. تُحسّ بحرارة صدره على صدرها. يده تلامس وجهَها. عنقَها. أصابعُه تفكّ أزرار قميصها. تشعر بيده تنزلق متحسِّسةً نهدَها. تُطْلق أنينًا خافتًا من فمها. يده على حلمتها. تَكْبر. تتصلّب. تضع يدها على يده. تفتح عينيها ثانيةً وتقول له: «ليس الآن، ليس الآن. في مكان آخر.»

يضع خدَّه على صدرها. يدها تضمّ وجهه. ترى الضوء يرتعش بين أوراق الشجرة. والسماء الزرقاء يتسلّل لونُها إلى عينيها اللتَيْن تغمضهما ببطء مع وقع تنفُّسها العميق.

تفتح عينيْها ثانيةً. ترى انعكاس وجهها المبلّل بالمياه في المرآة أمامها.

تَدْخل غرفتها وترتدي ثيابَ نومها. تجلس إلى طاولتها. تذهب لتخبر أمّها وأختَها أنّ عليها أن تَدْرس والتلفزيون يزعجها. تعود إلى غرفتها.

هو لم ير غرفتها من قبل.

«أهذا من الأشياء المهمّة؟ أن أرى أشياءك؟»

هي لا تردّ. هو فقط يُغْمض عينيه على المقعد الخلفيّ من السيارة.

هي تجلس على كرسيّ محازٍ للطاولة. تفتح كتابها الجامعيّ. تحمل قلمًا وتبدأ بالكتابة. تفكّر. تنظر إلى الخارج. ثمّ تنظر إلى الورقة. ترسم شكلاً هندسيًا. تحلّ مسألةً عن الوقت.

«ما هو الوقت؟ بعدٌ آخر كأبعاد الفضاء!» قال لها. «لكنّه بعدٌ خياليٌّ. لكلٍّ وقتُه ومسافاتُه. لكنّما الحدث لا يتغيّر.»

ينظر إلى السماء. هو لا يرى النجوم. بل يرى ازرقاقًا يطفو على عينيه. يغلّفه. يتمدّد على العشب على ظهره. تقترب. تتمدّد على العشب إلى جانبه. فجأةً يتراءى له أنّ للسماء ازرقاقًا حقيقيّاً، ترصّعه نقاطٌ صفراء. يرفع يده ليلمس النجوم. هي أيضًا ترفع يدها. يرى يدها تلوّح له.

ووراءها السماء. ازرقاق يتسلّل من بين أصابعها المتحرّكة. يده تلامس يدها. يدها تشدّ على يده. يُنزل يدها ويده قريبًا من وجهه. يحدِّق إلى معصم يدها. إلى العروق الزرقاء. إلى الدماء التي تجري فيها. ينظر إلى السماء الزرقاء. يضمّ يدها إلى يده ويرفعهما ثانية. يغمض عينًا واحدة ويحدِّق إلى اليدين المرفوعتين.

«أَغمضي عينًا واحدة وحدِّقي إلى أطراف الأصابع!» يقول لها.

الأصابع تتحرّك كأنَّها تبحث عن هدفٍ ما في السماء.

«هنالك!» يقول لها.

«ماذا هنالك؟» تجيبه بهدوء.

«نجم واحد يغلِّفه كوكبٌ ذهبيّ حيث الأحداث لا تتغيَّر. فقط لحظات متتابعة نراها من بعيد تَنْسج زمانًا ومكانًا.» يتوقّف. تنظر إلى السماء. تحرّك رأسها إلى كتفه وتبتسم. يتابع: «لكنَّها لحظات تتكسّر، تتدافع، تملأها أصواتٌ عدّة مبهمة غيرُ مفهومة.»

لن يسألها هذه المرّة إنْ كان ذلك من الأشياء المهمّة. يخاف أن تقول: «نعم! هذا من الأشياء المهمّة!»

يخاف أن تفتح خزانتها، في غرفتها التي ما رآها من قبل، لتخبِّئ بها أصواتًا مبهمةً غير مفهومة.

«إذن الفتاة ستصعي وستقفز من كوكب إلى آخر كي تجد صوتًا واحدًا يعنيها.» تقول محرّكةً يديهما في الهواء. تشير إلى كواكب عدّة.

لن تقول له إنْ كان ذلك من الأشياء المهمّة. تخاف أن تقول: «نعم! هذا من الأشياء المهمّة!»

وبعدها ستبحث ولن تجد الصوت. لن تجد إلاّ أصواتًا مبهمة ونظراتٍ ثقيلةً تُسلَّط عليها. تُربكها. تؤذيها. النظرات التي ما عادت تعنيها وما عادت تبالي بها منذ وجدته.

يفتح عينيه ويحدِّق إلى الطريق المسرعة. يصل إلى منزله. ويشعر بنعاس يُحْرق عَيْنَيْه. يتمدَّد على السرير. عليه أن يوضِّب أغراضه. أن ينام. أن يستيقظ باكرًا. يضع يدَيْه بين رأسه والمخدّة. يحدِّق إلى سقف الغرفة. يتخيَّل غرفتها. أشياءها.

هي ماتزال جالسةً على الكرسيّ بجانب الطاولة. ترسم أشكالاً هندسيَّة. تحلّ مسائل تتعلَّق بالوقت. تحدِّق إلى الحائط. تقف. تمشي في غرفتها. تتقدَّم نحو الباب المؤدِّي إلى الشرفة. تفتح الباب وتخرج إلى الشرفة. تلفحها نسماتٌ خريفيَّة باردة. تنظر إلى الشارع. تعيد خصلات شعرها القصير إلى الخلف.

تراه يتقدَّم من بعيد. تَلُوح على وجهها ابتسامة. تدير وجهَها إلى الناحية الأخرى. تبحث عنه. تتمعّن في المارّة. تبحث عنه ثانيةً. تنتظر أن يرفع يده ملوِّحًا لها. لكنَّه يختفي في زحمة المكان.

تدخل إلى غرفتها وتُغلق الباب المؤدِّي إلى الشرفة. تتمدَّد على سريرها وتغطِّي نفسها بلحاف سميك. تغمض عينيها وتنام. تحلم أنَّها في الخارج خلف المبنى الجامعيّ. تجلس وتُسند ظهرها إلى جذع شجرة. تنظر إلى ساعتها. الثامنة صباحًا. صفها يبتدئ الآن لكنَّها تنتظر. تلتفت صوب البحر. ترى اصفرارًا من الرمال والبيوت والمطار الذي يلي البيوت. تَسمع صوتَ طائرة تُقْلع من المطار. تراها تحلِّق على ارتفاع منخفض ثم تعلو. تنظر إلى أعلى. ترى الطائرة من خلال الأغصان والأوراق. تقف. تشعر بالهواء يلفح وجهَها ويحرّك شعرَها. تنظر حولها. تبحث عنه. تنظر ثانيةً إلى الأعلى. تبدو الطائرة كعصفور يقفز إلى غصن ويطير من جديد.

لكنَّها لا تسمع شيئًا الآن. يختفي صوت المحرّك. السيارات البعيدة. ترى قمم الأشجار تتحرّك. تلتوي. تفكّر في أنّ الهواء قويّ اليوم. لكنَّها لا تَسْمع صوتَ الهواء.

تعود الأصوات. الحركة. الضوضاء.

عيناها تحدِّقان إلى الأسفل. ترفع يدها أمام وجهها وتنظر إليها. تضع كتبها على التراب. ثم تحدِّق إلى عروق زرقاء على معصم يدها. زرقاء. كزرقة السماء. تسمع صوت الدماء وهي تتنفَّس. ورأسها يرتج مع دقّات قلبها.

تستيقظ وتتقلّب في فراشها. تنظر حولها في غرفتها، كأنّها تراقب حدثًا ما.

هي ستدخل المبنى. تتقدَّم. أضواء باهرة. شفاه تتحرّك على وجوه غريبة. أصوات مبهمة. نظرات ثقيلة تقع على جسدها. وهي تريدها أن تنزلق على جسدها وتسقط إلى الأرض. تتقلّب ثانية في سريرها والعرقُ يتصبَّب منها. تزيل اللحاف عنها وتضع يدها على جبينها. تمسح العرق وتغمض عينَيْها بشدّة كأنّ ألمًا يشقّ رأسها.

تفتح عينَيْها ثانيةً وتغمضهما. ترى نفسها في مكان اللقاء المسائيّ المعهود. تنتظره. ترشف من فنجان قهوتها. تنظر إلى ساعتها. الوقت يمضي. تنظر بوجوم إلى الكتاب الذي أمامها على الطاولة. كتاب مغلَّف بورقة هدايا ملوَّنة جميلة. تزيل ورقة الهدايا عن الكتاب وتضعها على الطاولة. تنظر حولها في المكان المعتم. إلى غلاف الكتاب. ولد صغير. شجرة. نجم أزرق. تنظر إلى الخارج. الشارع المعتم. تتصفَّح الكتاب. تحدِّق إلى الصور الملوّنة. تقرأ للحظات قليلة، عن أشياء مهمّة. تغلق الكتاب وتضعه على الطاولة حيث كان.

تقف. تمشي. تتطلّع إلى واجهات المحلات المقفلة. ترى انعكاسها على الزجاج يختلط مع بقع من الضوء الخافت الذي يأتي من الرصيف المقابل. تقترب من انعكاسها. تنظر إلى وجهها. تتّجه نحو منزلها. تقف في الشارع المظلم وتتطلّع إلى شرفتها. إلى الباب المؤدِّي إلى غرفتها.

تفتح عينَيْها ثانيةً. تنظر إلى سقف غرفتها. السقف لم يعد هنالك. ثمّة ضجيج من الأضواء يتركّز في ضوء واحد حادّ. تحاول الجلوس في سريرها. يداها تسقطان في فراغ. تقف. تمشي. هي ما عادت في ثياب نومها، بل في تنورتها وقميصها الجديد. تتحسَّس دربها في الشارع المظلم، محاطةً بالعتمة إلاّ من بقعة ضوء واحدة على الطريق. عيناها تدمعان من الضوء الحادّ الذي يغمرها. تتراجع بسرعة. الضوء الحاد يلاحقها. تتعثَّر وتسقط على الأسفلت. تبدو ككومة من ألوان تتحرّك. تقف. يدها ترتجف كأنّ شيئًا ما يلسعها. تَمْسح معصمها على قميصها فتظهر خطوط متقطعة حمراء قانية تختلط وألوانَ الزهور الملوّنة الصغيرة. تعاود تراجعها. الضوء الحادّ يلاحقها. تتوقَّف. تصرخ بصوت عالٍ: «ماذا تريدون منّي؟ ماذا تريدون؟ لا أشياء مهمّة لكم عندي!»

الضوء يخفت قليلاً. تصرخ ثانيةً: «لا شيء لكم عندي!»

الضوء يزداد خفوتًا. تتقدّم إلى الأمام. تضمّ معصمها بيدها الأخرى. تنظر إلى آثار الأسفلت السوداء على ساعدها. إلى اللّون الأحمر على معصمها.

لا يبقى من وجهها إلاّ خطوطٌ تخفت ببطء.

تقف. تنظر أمامها إلى الظلام وكأنّها تنظر إليه وجهًا لوجه.

تقول له: «أنا لست بأميرة صغيرة. فلا نجم آخر عندي. ولا أملك كوكبًا آخر أرحل إليه!»

تكساس